معالم القرآن والسنة
MA'ALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

USIM Penerbit USIM PRESS

Journal of Maʿālim al-Qurʾān wa al-Sunnah
Volume 22 No. 1 (2026)
ISSN: 1823-4356 | e-ISSN: 2637-0328
Homepage: https://jmqs.usim.edu.my/

Title	:	**Reconceptualising Human Development through the Maqāṣid of Sūrah al-Aʿrāf: An Analytical Study Based on Ibn ʿĀshūr's Tafsīr**
Author (s)	:	Kauthar Abd Kadir, Mesbahul Hoque, Wahida Mansor
Affiliation (s)	:	Universiti Sains Islam Malaysia
DOI	:	https://doi.org/10.33102/jmqs.v22i1.632
History	:	Received: April 1, 2026; Revised: May 15, 2026; Accepted: June 1, 2026; Published: June 30, 2026.
Citation	:	Kauthar Abd Kadir, Mesbahul Hoque, & Wahida Mansor. مقاصد سورة الأعراف في بناء الإنسان: دراسة تحليلية في ضوء تفسير ابن عاشور: Reconceptualising Human Development through the Maqāṣid of Sūrah al-Aʿrāf: An Analytical Study Based on Ibn ʿĀshūr's Tafsīr. Maʿālim Al-Qurʾān Wa Al-Sunnah, 22(1), 626–640. https://doi.org/10.33102/jmqs.v22i1.632
Copyright	:	© The Authors
Licensing	:	This article is open access and is distributed under the terms of Creative Commons Attribution 4.0 International License
Conflict of Interest	:	Author(s) declared no conflict of interest

مقاصد سورة الأعراف في بناء الإنسان: دراسة تحليلية في ضوء تفسير ابن عاشور

Reconceptualising Human Development through the Maqāṣid of Sūrah al-Aʿrāf: An Analytical Study Based on Ibn ʿĀshūr's Tafsīr

Kauthar Abd Kadir
Mesbahul Hoque*
Faculty of Quranic and Sunnah Studies
Universiti Sains Islam Malaysia

Wahida Mansor
Faculty of Major Language Studies
Universiti Sains Islam Malaysia

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مقاصد سورة الأعراف في بناء الإنسان في ضوء تفسير *التحرير والتنوير* للإمام محمد الطاهر ابن عاشور، من خلال تحليل منهجه المقاصدي في استنباط الدلالات التربوية والإصلاحية للسورة. وتُعدّ سورة الأعراف من السور التي تُبرز معالم التكوين الإنساني المتكامل، إذ تعالج قضايا العقيدة والسلوك والعلاقات الاجتماعية ضمن إطار هدايات قرآنية شاملة. وتنطلق الدراسة من إشكالية تتمثل في قصور الدراسات السابقة عن إبراز مقاصد سورة الأعراف في بناء الإنسان وفق المنهج المقاصدي عند ابن عاشور، مما يستدعي دراسة تحليلية تُظهر رؤيته الإصلاحية في توجيه السلوك الإنساني وبناء الفرد والمجتمع. واعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الاستنباطي، من خلال تتبّع الآيات المتعلقة ببناء الإنسان في سورة الأعراف وتحليلها في ضوء تفسير ابن عاشور. وتوصّلت الدراسة إلى أن ابن عاشور قدّم تصورًا متكاملًا لبناء الإنسان يقوم على ثلاثة أبعاد رئيسة: العقدي بترسيخ الإيمان والتوحيد، والأخلاقي بتهذيب النفس وتقويم السلوك، والاجتماعي بإقامة العدل ومقاومة الفساد. كما بيّنت النتائج أن مقاصد سورة الأعراف تهدف إلى تحقيق التوازن بين العقل والوحي، والعلم والعمل، والحرية والمسؤولية، بما يسهم في إعداد الإنسان القادر على أداء دوره الإصلاحي والحضاري.

*Correspondence concerning this article should be addressed to Mesbahul Hoque, Universiti Sains Islam Malaysia at mesbahul@usim.edu.my

الكلمات المفتاحية: مقاصد، بناء، الإنسان، الأعراف، تفسير ابن عاشور

Abstract

This study investigates the maqāṣid (higher objectives) of Sūrah al-Aʿrāf in relation to human development through the exegetical framework of Imām Muḥammad al-Ṭāhir Ibn ʿĀshūr in *al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*. As a Meccan sūrah that articulates a comprehensive paradigm of human formation, Sūrah al-Aʿrāf integrates doctrinal, ethical, and socio-civilizational dimensions within a unified Qur'anic vision of guidance. Despite its thematic depth, existing scholarship has insufficiently examined its maqāṣid in light of Ibn ʿĀshūr's reform-oriented methodology, thereby necessitating a systematic analytical inquiry. Accordingly, this study aims to elucidate the higher objectives embedded in the sūrah and to explicate Ibn ʿĀshūr's maqāṣid-based hermeneutics in constructing a holistic model of human development. Methodologically, the research adopts an analytical–inferential approach, involving a thematic examination of verses related to human formation and a critical analysis of Ibn ʿĀshūr's interpretive strategies in deriving their educational and reformative implications. The findings demonstrate that Ibn ʿĀshūr advances an integrated model of human development structured around three principal dimensions: the doctrinal, which establishes faith (īmān) and tawḥīd as the epistemic foundation; the ethical, which emphasizes tazkiyah, self-discipline, and moral refinement; and the social, which underscores justice, accountability, and resistance to corruption as pillars of communal order. Furthermore, the study reveals that the maqāṣid of Sūrah al-Aʿrāf seek to harmonize reason and revelation, knowledge and praxis, and freedom and responsibility, thereby cultivating a balanced human personality capable of fulfilling its reformative and civilizational mandate. This integrative framework highlights the Qur'an's enduring role as a transformative guide in shaping both individual virtue and societal well-being.

Keywords: Maqāsid, al-Aʿrāf, human, development, Tafsir Ibn ʿĀshūr

مقدّمة

يُعَدّ القرآن الكريم المصدرَ الأسمى للهداية الإنسانية، والمرجعَ الأعلى للقيم والمبادئ التي تُوجِّه الإنسان نحو تحقيق كماله الروحي والعقلي والاجتماعي. فقد أنزل الله تعالى كتابه لهداية البشر

وتنظيم شؤون حياتهم وفق منهجٍ متكاملٍ يجمع بين الإيمان والعمل، والعقل والشرع، والمادة والروح، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: 9). وقد نبَّه العلماء إلى أن الغاية من إنزال القرآن لا تقتصر على التلاوة والتعبّد، بل تتجاوز ذلك إلى تحقيق مقاصده في بناء الإنسان وإصلاح المجتمع (الشاطبي، 1997م).

وتُمثِّل المقاصد القرآنية الإطارَ الكليَّ الذي يُعبِّر عن الغايات العظمى التي يتوخّاها الوحي الإلهي من تشريعاته وتوجيهاته، إذ لا تقف عند حدود الأحكام القانونية، بل تمتد إلى الأبعاد التربوية والفكرية والاجتماعية، الهادفة إلى تكوين إنسانٍ متوازنٍ في فكره وسلوكه وعلاقاته (ابن عاشور، 1404هـ). ويُعَدّ إدراك هذه المقاصد مدخلًا أساسًا لتجديد التفسير القرآني، وربط دلالات النص بواقع الإنسان المتغيّر.

وتأتي سورة الأعراف في مقدّمة السور المكية التي عالجت قضايا الإنسان في أبعاده المتعدّدة؛ إذ عرضت نشأته الأولى من خلال قصة آدم عليه السلام، وصراعه مع الشيطان، كما تناولت مسيرة الأنبياء في إصلاح المجتمعات، بما يؤكد أن بناء الإنسان الصالح يُشكِّل محور الرسالات السماوية (الطبري، 2001م). وقد اشتملت السورة على جملة من القيم الكبرى في مجالات الدعوة والإصلاح والعدل والصبر، مما يجعلها نموذجًا تطبيقيًا بارزًا لمقاصد القرآن في تكوين الإنسان الرباني.

ويُعَدّ الإمام محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393هـ) من أبرز المفسّرين المحدثين الذين أولَوا المقاصد عنايةً خاصة في التفسير. وقد تميّز تفسيره *التحرير والتنوير* برؤية منهجية عميقة تجمع بين التحليل اللغوي والبيان البلاغي والنظر المقاصدي والاجتماعي للنص القرآني، حيث جعل من التفسير أداةً لإحياء روح القرآن في واقع الأمة (ابن عاشور، 1404هـ). ويُعدّ منهجه من أهم النماذج التي أسهمت في الربط بين التفسير والمقاصد التربوية والحضارية.

وتتمثل مشكلة البحث في الحاجة إلى دراسة علمية تُبرز كيفية تناول الإمام محمد الطاهر بن عاشور لمقاصد سورة الأعراف في بناء الإنسان، والمنهج الذي اعتمده في استنباط هذه المقاصد وربطها بواقع الإنسان ومجتمعه المعاصر، في ضوء ما اشتملت عليه السورة من توجيهات إصلاحية وتربوية تهدف إلى الارتقاء بالإنسان فكرًا وسلوكًا وعقيدةً.

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الأسس المقاصدية في سورة الأعراف المتعلّقة ببناء الإنسان روحًا وفكرًا وأخلاقًا، وتحليل منهج ابن عاشور في تفسير الآيات ذات الصلة بالبناء الإنساني من منظور مقاصدي، مع استنباط القيم التربوية والاجتماعية والحضارية التي يمكن الإفادة منها في بناء الإنسان المعاصر. كما تسعى الدراسة إلى إبراز الرؤية التكاملية لابن عاشور في الجمع بين النص القرآني ومتطلبات الإصلاح الإنساني، بما يسهم في ترسيخ المفهوم القرآني لبناء الشخصية المؤمنة المتوازنة.

واعتمد البحث على المنهج التحليلي، من خلال تتبّع الآيات التي تناولت موضوع بناء الإنسان في سورة الأعراف، وتحليل تفسير ابن عاشور لها في ضوء منهجه المقاصدي، للكشف عن أبعاد الرؤية القرآنية في تهذيب النفس، وتقويم السلوك، وبناء الوعي الإنساني. كما تم توظيف أدوات التحليل الموضوعي والمقارنة بين المفاهيم التفسيرية؛ للوصول إلى تصورٍ شمولي لمقاصد السورة.

وتسهم الدراسة في إثراء الفكر القرآني من منظورٍ مقاصدي، عبر إبراز الرؤية التجديدية لابن عاشور في الجمع بين التفسير والمقاصد، بما يعمّق فهم التوجيهات القرآنية المتعلّقة ببناء الإنسان الصالح وإقامة المجتمع القويم . ويشتمل البحث على ثلاثة مباحث وخاتمة، أما المبحث الأول عن ابن عاشور ومنهجه المقاصدي في تفسير سورة الأعراف والمبحث الثاني عن المقاصد الإيمانية لبناء الإنسان في سورة الأعراف من خلال تفسير ابن عاشور والمبحث الثالث عن المقاصد الأخلاقية والاجتماعية لبناء الإنسان في سورة الأعراف من خلال تفسير ابن عاشور وأما الخاتمة فتشتمل على خلاصة البحث ونتائجه المهمة.

المبحث الأول: ابن عاشور ومنهجه المقاصدي في تفسير سورة الأعراف

أولا: نبذة عن ابن عاشور وتفسيره الموسوعي "التحرير والتنوير"

يُعَدّ الإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (1296–1393هـ / 1879–1973م) من أبرز علماء الزيتونة، ومن أعلام الفكر الإسلامي والتفسير في العصر الحديث. وُلد في تونس في أسرة علمية عريقة اشتهرت بالعلم والقضاء، وكان لذلك أثرٌ بالغ في تكوينه العلمي المبكر، حيث حفظ القرآن الكريم في سنٍّ صغيرة، وتلقّى علوم العربية والشرعية على كبار علماء

جامع الزيتونة، مما أهّله ليبرز نبوغه العلمي في وقتٍ مبكر (ابن عاشور، 1404هـ).

تولّى ابن عاشور مناصب علمية وقضائية رفيعة، من أبرزها شيخ الإسلام المالكي في تونس، وشيخ جامع الزيتونة، كما أسهم في إصلاح مناهج التعليم الزيتوني، ودعا إلى الجمع بين الأصالة والمعاصرة في العلوم الشرعية، مؤكدًا ضرورة تجديد أدوات الفهم دون الإخلال بثوابت الشريعة (الزركلي، 2002م). وقد عُرف بسعة اطلاعه، وقوة ملكته الأصولية واللغوية، مما جعله من المجدّدين في الفكر الإسلامي المعاصر.

ويُعدّ تفسيره الموسوعي "التحرير والتنوير" أعظمَ مؤلفاته وأبرزَ إسهاماته العلمية، إذ استغرق في تأليفه أكثر من أربعين عامًا، وجعله مشروعًا علميًا لإحياء روح القرآن الكريم وربط هداياته بواقع الأمة (ابن عاشور، 1404هـ). وقد تميّز هذا التفسير بمنهج متكامل يجمع بين التحليل اللغوي والبلاغي، والنظر الأصولي والمقاصدي، والاهتمام بالأبعاد الاجتماعية والحضارية للنص القرآني، متجاوزًا الاقتصار على التفسير النقلي إلى التفسير التحليلي المقاصدي.

وأولى ابن عاشور عنايةً خاصة بالمقاصد الشرعية والقرآنية، حتى عُدّ من أبرز المنظّرين للمقاصد في العصر الحديث، ولا سيما من خلال كتابه *مقاصد الشريعة الإسلامية*، حيث وسّع دائرة المقاصد، وربطها بقضايا العمران البشري، وبناء الإنسان، وإصلاح المجتمع (الدهلوي، 2010م). وقد انعكس هذا التوجّه بوضوح في تفسيره، إذ كان يحرص على بيان الغايات التربوية والإصلاحية للآيات، وربطها بسلوك الفرد وبنية المجتمع.

كما اتسم منهج ابن عاشور في التفسير بالانفتاح المنضبط على الواقع، حيث تعامل مع قضايا العصر بروح نقدية واعية، دون أن يفصل النص القرآني عن سياقه الزماني والمكاني، مؤكدًا أن القرآن كتاب هداية متجدّدة، صالح لكل زمان ومكان (الخولي، 2004م). وقد مكّنه هذا المنهج من تقديم قراءة تفسيرية تُوازن بين العقل والنقل، وتجمع بين النص ومقاصده، وبين الثابت والمتغيّر.

وقد ترك ابن عاشور أثرًا علميًا بالغًا في الدراسات القرآنية والفكر الإسلامي، ولا تزال مؤلفاته محلّ عناية الباحثين والدارسين، لما تتسم به من عمقٍ علمي، ومنهجية رصينة، ورؤية إصلاحية شاملة. ويُعدّ مشروعه التفسيري والمقاصدي من أهم الجهود التي أسهمت في تجديد التفسير

القرآني، وترسيخ دور القرآن في بناء الإنسان الصالح والمجتمع الراشد

ثانيا: المنهج المقاصدي عند ابن عاشور في تفسير سورة الأعراف

المقاصد القرآنية تمثل البعد القيمي والتوجيهي في النص القرآني، الذي يهدف إلى بناء الإنسان وإقامة المجتمع على أسس الهداية والعدل والعمران. وقد عرّف الإمام الشاطبي المقاصد الشرعية عامةً بأنها : المعاني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع. (الشاطبي، 1997م)، وهو تعريف شامل يمكن إسقاطه على المقاصد القرآنية بوصفها المضمون الكلي الذي يجمع بين الهداية والتزكية والإصلاح. فمقاصد القرآن تأتي من مقاصد سور القرآن، والتي تتكون بدورها من محاور السور. فلكل سورة مقصد يتم الوصول له عن طريق محاورها أو موضوعاتها التي تحدثت عنها.

ويُعدّ محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393هـ) من أبرز من أسّسوا للمنهج المقاصدي في التفسير الحديث. فقد انطلق في تفسيره *التحرير والتنوير* من رؤية تعتبر أن القرآن كتاب إصلاح وهداية للأمم، لا مجرد بيان للأحكام أو القصص (ابن عاشور، 1404هـ)

ويقوم منهجه المقاصدي على ثلاثة أركان رئيسة:

1. **التحليل البلاغي والمعنوي للنص القرآني** :حيث يرى ابن عاشور أن البلاغة القرآنية تكشف عن مقاصده الكبرى، لأن اختيار الألفاظ والأساليب يدل على الغاية التربوية والإنسانية المقصودة من الخطاب.
2. **الربط بين السنن الإلهية والواقع الإنساني** :فقد اهتم بتوضيح سنن الله في الهداية والضلال، والنهضة والانهيار، معتبرًا أن المقاصد القرآنية تظهر من خلال هذه السنن.
3. **التركيز على البعد الإنساني في التفسير** :إذ يرى أن الهدف الأساس من الوحي هو تكوين الإنسان الكامل الذي يعبد الله بعقله وقلبه وسلوكه (ابن عاشور، 1404هـ).

يوضح الرسم البياني التالي أركان المنهج المقاصدي لابن عاشور في التفسير.

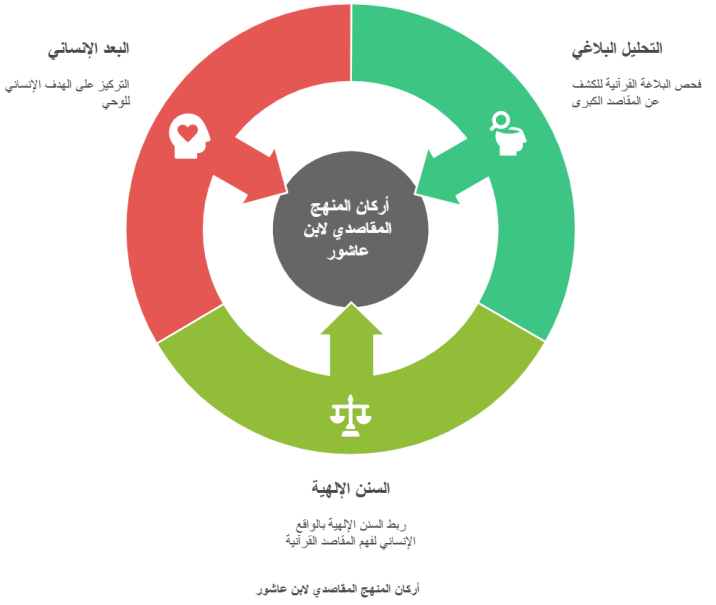

وتجلّى منهج ابن عاشور المقاصدي بوضوح في تفسيره لسورة الأعراف، حيث تعامل معها باعتبارها سورة تربوية إنسانية تهدف إلى بناء الشخصية المؤمنة وإصلاح المجتمع. فقد جعل مقصدها العام هو بيان طريق الهداية والتحذير من أسباب الغواية، مستدلًا بتنوع موضوعاتها بين العقيدة، والقصص، والمواعظ، والتشريعات.

وقد أشار إلى أن قصة آدم في مطلع السورة تمثل نموذجًا أوليًا لصراع الإنسان بين الطاعة والمعصية، وأنها تضع الأساس لبناء الإنسان الواعي لمسؤوليته تجاه الله والكون (ابن عاشور، 1404هـ). كما رأى في عرض قصص الأمم السابقة دعوةً للتأمل في سنن الله في الإصلاح والفساد، وهي من أهم المقاصد التربوية في السورة.

إن المنهج المقاصدي عند ابن عاشور في تفسير سورة الأعراف يقوم على الانتقال من ظاهر المعنى إلى عمقه القيمي والإنساني، بحيث يتحول النص من مجرد خطاب تاريخي إلى رسالة تربوية مستمرة في بناء الإنسان والمجتمع. ومن هنا تظهر خصوصية تفسيره، إذ يجمع بين دقة التحليل اللغوي وعمق النظر المقاصدي في فهم مقاصد القرآن في إصلاح النفس والواقع.

المبحث الثاني: المقاصد الإيمانية لبناء الإنسان في سورة الأعراف من خلال تفسير ابن عاشور

يُعدّ الإيمان حجر الأساس في بناء الإنسان في التصور القرآني، إذ به تتكوّن الشخصية المتوازنة التي تجمع بين المعرفة بالله، والالتزام الأخلاقي، والوعي بسنن الكون والحياة. وقد اهتمت سورة الأعراف بترسيخ هذا البعد الإيماني بوصفه الأساس الذي تُبنى عليه مقاصد الإصلاح والتزكية والعمران، فجمعت بين عرض قصص الأنبياء، وتقرير التوحيد، وبيان مصير المؤمنين والمكذبين، بما يوجّه الإنسان إلى الهداية ويبعده عن الغواية. ومن خلال تفسير الإمام محمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، تتجلى رؤية مقاصدية عميقة تُبرز كيف جعل القرآن من الإيمان منهجًا لبناء الإنسان في فكره وسلوكه وضميره. يوضح الرسم البياني التالي المقاصد الإيمانية لابن عاشور في سورة الأعراف.

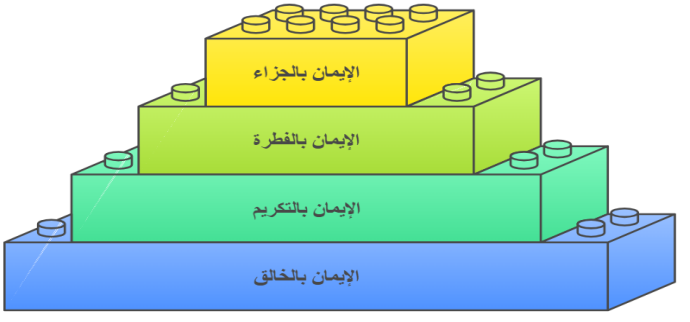

المقاصد الإيمانية لابن عاشور في سورة الأعراف

أولاً: الإيمان بخالقية الله وربوبيته أساس التوحيد

قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا) (الأعراف: 54)

تؤكد هذه الآية على مقصد إيماني جوهري، وهو ترسيخ عقيدة التوحيد من خلال التأمل في نظام الكون وإتقان الخلق. ويبيّن ابن عاشور أن المقصود من ذكر خلق السماوات والأرض هو "التنبيه على بديع الصنع الدال على وحدانية الخالق، ليقوم الإيمان على النظر والتفكر لا على التقليد (ابن عاشور، 1404هـ).

ويرى أن ذكر تداول الليل والنهار في قوله تعالى (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ) يحمل دلالة على القدرة الإلهية المنظمة لشؤون الكون، مما يدعو الإنسان إلى إدراك انتظام السنن الكونية والخضوع

لمنظّمها. ومن هنا يتجلى المقصد الإيماني الأول في بناء الإنسان، وهو تحرير العقل من الغفلة والشرك وتأسيس الإيمان على البصيرة.

ثانياً: الإيمان بالتكريم الإلهي والمسؤولية الإنسانية

قال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) (الأعراف: 11).

في هذه الآية يبيّن الله تعالى مكانة الإنسان وكرامته بوصفه مخلوقًا عاقلًا مكلّفًا بالخلافة في الأرض. وقد علّق ابن عاشور على ذلك بقوله: جعل الله السجود لآدم إظهارًا لفضله على الملائكة بما أودع فيه من العقل والاستعداد لمعرفة الحقائق، فكان السجود تكريمًا لنوع الإنسان. (ابن عاشور، 1404هـ)

ثم يربط ابن عاشور بين قصة السجود ومقصد بناء الإنسان، إذ يرى أن الكِبر الذي أوقع إبليس في المعصية هو أخطر ما يهدد البناء الإيماني للإنسان، لأن الكِبر مانع من قبول الحق، وهو أصل العصيان (ابن عاشور، 1404هـ)

وهنا يظهر أن المقصد الإيماني في هذه القصة هو غرس التواضع، وتحرير النفس من الأهواء، وتعميق الشعور بالمسؤولية، وهي قيم تأسيسية في شخصية الإنسان المؤمن.

ثالثاً: الإيمان بالفطرة والميثاق الإلهي

قال تعالى: **(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا)** (الأعراف: 172).

تعدّ هذه الآية من أعمق النصوص التي تتناول أصل الإيمان الفطري في الإنسان، وهو الميثاق الذي أودعه الله في قلبه قبل وجوده في الدنيا. يقول ابن عاشور: "المراد بالميثاق تمثيل لتمكن الإيمان بالله في فطرة الإنسان، فكل نفس مفطورة على الإقرار بربٍّ خالقٍ لها، وإن غطّتها الغفلة أو الشهوة. (ابن عاشور، 1404هـ). ويرى أن هذا الإقرار الفطري يمثل الأساس الأول للمسؤولية الشرعية، إذ لا عذر لأحد في الإعراض عن الإيمان، لأن دليله مغروس في فطرته قبل أن يكون مكتسبًا بعقله. ومن هنا يظهر المقصد الإيماني الثالث في بناء الإنسان، وهو ترسيخ مفهوم المسؤولية والاختيار الحر المبني على الفطرة السليمة.

رابعاً: الإيمان بالجزاء الأخروي ودوره في ضبط السلوك

قال تعالى: (**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**) (الأعراف: 36–42)

ترسّخ هذه الآيات مبدأ الجزاء العادل، وهو من المقاصد الإيمانية التي تبني الوازع الداخلي لدى الإنسان. ويقول ابن عاشور: جمع الله في هذه الآيات بين الوعيد والوعد ليقيم ميزان العدل بين الخوف والرجاء، فيتولد عن ذلك صلاح النفوس واستقامة الأعمال. (ابن عاشور، 1404هـ) فالإيمان بالآخرة في نظره ليس غاية نظرية، بل وسيلة تربوية تحفظ توازن الإنسان بين الرجاء والخوف، وتغرس فيه الرقابة الذاتية التي تردعه عن الظلم والمعصية. وبذلك يتحقق مقصد قرآني أصيل، وهو أن الإيمان بالجزاء ضمان لبناء السلوك الأخلاقي للإنسان.

المبحث الثالث: المقاصد الأخلاقية والاجتماعية لبناء الإنسان في سورة الأعراف من خلال تفسير ابن عاشور

تُعدّ سورة الأعراف من أكثر السور القرآنية غنىً بالمضامين الأخلاقية والاجتماعية التي تسهم في بناء شخصية الإنسان المتكامل، إذ جمعت بين أسس الإيمان، وضوابط السلوك، ومناهج الإصلاح الاجتماعي. وقد تناول **ابن** عاشور هذه الجوانب في تفسيره التحرير والتنوير بمنهجٍ مقاصدي عميق، يُبرز كيف تهدف توجيهات السورة إلى ترسيخ منظومة القيم التي تحفظ للإنسان إنسانيته، وتبني مجتمعًا فاضلاً يسوده العدل والتعاون والتقوى. يوضح الرسم البياني التالي المقاصد الأخلاقية والاجتماعية لبناء الإنسان في سورة الأعراف من خلال تفسير ابن عاشور.

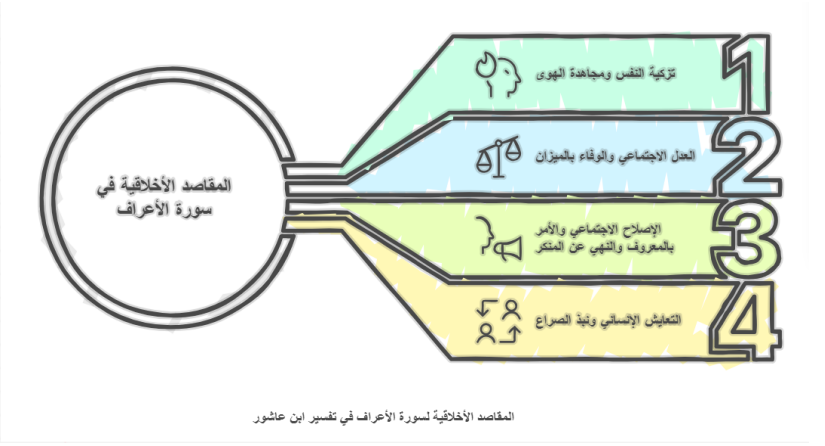

المقاصد الأخلاقية لسورة الأعراف في تفسير ابن عاشور

أولاً: مقصد تزكية النفس ومجاهدة الهوى

من أبرز المقاصد الأخلاقية في سورة الأعراف تزكية النفس وتحريرها من أهوائها .وقد عبّر القرآن عن هذا المعنى في قوله تعالى:

(وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) (الأعراف: 40).

يرى ابن عاشور أن الآية ترسم مصير المتكبرين الذين استعبدوا أنفسهم لأهوائهم، موضحًا أن الاستكبار من أعظم الموانع عن الهداية، لأنه مرض في النفس يجعل صاحبه يرى الحق باطلاً والباطل حقًّا (ابن عاشور، 1404هـ). ويُفهم من هذا أن السورة تهدف إلى بناء الإنسان المتواضع الخاضع للحق، المتحرر من نزعات الكبر والعصيان، وهو من أسس التزكية التي تُقيم التوازن بين العقل والهوى.

ثانياً: مقصد العدل الاجتماعي والوفاء بالميزان

من المقاصد القرآنية الواضحة في بناء الإنسان في سورة الأعراف تحقيق العدل في المعاملات، كما في قوله تعالى:

(وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۝ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ). (الأعراف: 85).

فسّر ابن عاشور هذه الآية بأنها "أساس النظام الاقتصادي القائم على الأمانة والعدالة، لأن بخس الحقوق سبب لفساد العمران واختلال الثقة بين الناس . (ابن عاشور، 1404هـ) ويرى أن

الخطاب فيها يتجاوز قوم شعيب عليه السلام إلى مبدأٍ إنساني شامل، يرمي إلى تحقيق التوازن الاجتماعي القائم على العدل في الكيل والميزان، رمزًا للإنصاف في كل مجالات الحياة. وهذا يبيّن كيف يُسهم المقصد القرآني في تهذيب السلوك الاقتصادي والاجتماعي، لتكوين إنسان عادلٍ، لا يظلم ولا يُظلم.

ثالثاً: مقصد الإصلاح الاجتماعي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من أهم المقاصد الاجتماعية في السورة تأكيد مبدأ الإصلاح المجتمعي، كما في قوله تعالى:
(وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ). (الأعراف: 164).

يرى ابن عاشور أن هذه الآية تُقرر وجوب الدعوة إلى الخير والنهي عن المنكر ولو في أوقات انتشار الفساد، لأن القيام بهذه الوظيفة هو صمام أمان للمجتمع من الانهيار الأخلاقي (ابن عاشور، 1404هـ) ويضيف أن الأمة الناهية عن المنكر "تمثل ضمير المجتمع الحي الذي لا يسكت عن الانحراف، بل يسعى للإصلاح ولو لم يُستجب له (ابن عاشور، 1404هـ)

إذن، يتضح أن من مقاصد السورة في بناء الإنسان تكوين شخصية فاعلة مصلحة، لا تكتفي بالاستقامة الفردية، بل تسهم في إصلاح الجماعة.

رابعاً: مقصد التعايش الإنساني ونبذ الصراع

ومن الجوانب الاجتماعية الراقية التي أبرزها ابن عاشور في تفسير السورة مقصد التعايش الإنساني القائم على المعرفة والتقوى، وهو ما يُفهم من قوله تعالى:
(يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ) (الأعراف: 26).

ففي تحليله لهذه الآية، يقول ابن عاشور إن اللباس في ظاهره مظهرٌ للجمال المادي، لكنه في جوهره رمزٌ للحياء الاجتماعي والتقوى الروحية التي تحفظ كرامة الإنسان وتمنع الانحلال الأخلاقي . (ابن عاشور، 1404هـ)، ويؤكد أن هذه الدعوة إلى اللباس والتقوى ليست مجرد توجيه فردي، بل هي تأسيسٌ لثقافةٍ اجتماعيةٍ قائمةٍ على الاحترام المتبادل وصون القيم الإنسانية.

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن المقاصد القرآنية في سورة الأعراف تمثل مشروعًا ربانيًا متكاملًا لبناء الإنسان في أبعاده الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية. وقد أظهر الإمام ابن عاشور في تفسيره *التحرير والتنوير* عمقًا منهجيًا متميزًا في إبراز هذه المقاصد، من خلال منهجه المقاصدي التحليلي الذي يجمع بين البيان اللغوي والدلالة القيمية، وبين النص القرآني والواقع الإنساني.

يتضح من الدراسة أن ابن عاشور لا يتعامل مع النص القرآني بوصفه مجرد خطاب تعبدي أو قصصي، بل يراه منظومة إصلاحية تهدف إلى تكوين الإنسان الصالح الذي يدرك سنن الله في نفسه ومجتمعه، فيعبد الله عن وعي وبصيرة. فمقصد الهداية الإيمانية في السورة يهدف إلى تحرير الإنسان من الضلال والغواية، كما يظهر في قصص الأنبياء وموقف إبليس، بينما يسعى مقصد التزكية والأخلاق إلى تهذيب النفس من الكبر والفساد، ليُبنى إنسان متواضع نافع في مجتمعه.

كما أبرز ابن عاشور أن سورة الأعراف تضع أسس العدالة الاجتماعية والإصلاح المجتمعي، من خلال توجيهاتها في الوفاء بالميزان، والنهي عن بخس الناس أشياءهم، والدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .وهذه القيم ليست مجرد أحكام جزئية، بل تُعد مقاصد عليا تهدف إلى بناء مجتمع متكافل يقوم على التقوى والتعايش السليم.

ومن أبرز نتائج الدراسة:

1. يُعدّ المنهج المقاصدي عند ابن عاشور من أبرز المناهج التجديدية في تفسير العصر الحديث، إذ يربط بين النص ومقاصده الكلية في بناء الإنسان.
2. تمثل سورة الأعراف نموذجًا قرآنيًا للبناء الشامل للإنسان، إذ تجمع بين التربية الإيمانية، والتزكية الأخلاقية، والإصلاح الاجتماعي.
3. تسهم دراسة المقاصد القرآنية في التفسير في إحياء البعد الحضاري للقرآن الكريم وربط تعاليمه بواقع الإنسان المعاصر.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن منهج ابن عاشور في تفسير سورة الأعراف يُعد نموذجًا رائدًا لقراءة القرآن من منظور إنساني حضاري، يبرز رسالة الوحي في إعداد الإنسان ليكون خليفةً راشدًا في الأرض، متمسكًا بالإيمان، متخلقًا بالأخلاق، فاعلًا بالإصلاح، جامعًا بين عبادة الله وعمارة الحياة.

Acknowledgement

This study was funded by the Faculty of Major Language Studies, Universiti Sains Islam Malaysia, under the PTJ Grant, project code PPPI/PTJ/FPBU/USIM/15325.

Bibliography

Al-Dahlawī, Muḥammad Saʿīd.(2010 M). *Qirāʾa Ḥaḍāriyya lil-Qurʾān.* Delhi: Dār al-Fikr,

Al-Kīlānī, ʿAbd al-Raḥmān Ibrāhīm. (2000 M). *Qawāʿid al-Maqāṣid ʿinda al-Imām al-Shāṭibī.* Damascus: al-Maʿhad al-ʿĀlamī lil-Fikr al-Islāmī, Dār al-Fikr.

Al-Shāṭibī, Abū Isḥāq Ibrāhīm ibn Mūsā ibn Muḥammad. (1997 M). *Al-Muwāfaqāt.* Riyāḍ: Dār Ibn ʿAfān.

Al-Ṭabarī, Abū Jaʿfar Muḥammad ibn Jarīr. (2001 M). *Jāmiʿ al-Bayān ʿan Taʾwīl Āy al-Qurʾān.* Taḥqīq: ʿAbd Allāh ibn ʿAbd al-Muḥsin al-Turkī. Cairo: Dār Hijr.

Bū ʿUkāz, ʿĪsā. (2017 M). *Maqāṣid al-Qurʾān al-Karīm wa Maḥāwiruh ʿinda al-Mutaqaddimīn wa al-Mutaʾakhkhirīn.* Buḥūth min Majallat al-Iḥyāʾ, Jāmiʿat Batna, Algeria.

Ibn ʿĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. (1404 H). *Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr.* Tunis: Dār al-Tūnisiyya.

Ibn ʿĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. *Maqāṣid al-Sharīʿah al-Islāmiyya.* Taḥqīq: Muḥammad al-Ṭāhir al-Maysāwī. Amman: Dār al-Nafāʾis.

Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. (1414 H). *Lisān al-ʿArab.* Beirut: Dār Ṣādir.

Ṭahā, Ḥamdī Ṣubḥ. (2011 M). *Al-Maqāṣid wa al-Ghāyāt.* Cairo: Jāmiʿat al-Azhar.